

(الخائفون والخائفات من الله في الخلوات)

حُطْبَةُ جُمُعَةٍ لِشَيْخِنَا الْفَاضِلِ أَبِي الْمُنْذِرِ مِنْبِرِ السَّعْدِيِّ الْعَدَنِيِّ — حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

١٧ ذي الحجة ١٤٤٦ هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا).

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادَ اللَّهِ:

يقول الله جل جلاله في كتابه الكريم: **(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)** نقف مع هذه الآية

العظيمة، نقف مع معناها، وما تشتمل عليه من فوائد عظيمة، فقله سبحانه: **(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ)** الخشية هي شدة الخوف، ولهذا وصف الله عز وجل بها العلماء، فقال سبحانه: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ).**

(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) لأهل العلم معنيان في قوله سبحانه: (في الغيب)، فالمعنى الأول في قوله: (يخشون ربهم بالغيب) أي يخشونه وهم لا يرونه، كما قال النبي ﷺ لجبريل في جوابه عن الإحسان: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) فهؤلاء يخشون ربهم، وهم لا يرونه، كما قال عليه الصلاة والسلام: **(تَعَلَّمُوا أَنْكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا)** فروى الله جل وعلا غير ممكنة في هذه الدنيا، ومع ذلك هذا المؤمن وهذه المؤمنة يخشون ربهم وهم لا يرونه.

والمعنى الثاني: (يخشون ربهم بالغيب) أي يخشون ربهم وهم بعيدون عن الناس، بعيدون عن أعينهم، يخشون ربهم في السر، يخشون ربهم في الخلوات، وكلا المعنيين صحيح، يخشون ربهم بالغيب أي يخافون الله وهم لا يرونه، ويخشون ربهم بالغيب يخشون الله في السر وفي الخلوات وبعيداً عن أعين الناس، وإذا كانوا كذلك في السر فهم كذلك في العلانية، يخشون ربهم بالغيب، ويخشون ربهم في الشهادة، هؤلاء معشر المسلمين قد جاءت النصوص والآثار بذكر أمثلة على هؤلاء الخائفين والخائفات من الله جل وعلا في الخلوات، فمن ذلك ومن هؤلاء: نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام، فقد كان شاباً أعزباً غريباً، فدعته المرأة وهي ربة البيت، فلا يخشى مع ذلك الفضيحة؛ لأنها ربة البيت، وهي الطالبة، وكانت على قدر

عظيم من الجمال، **(وغلقت الأبواب وقالت هيت لك)** أي تهيات لك، فلا يراها إلا الله جل وعلا، فهنا تحقق ليوسف عليه السلام مقام المراقبة، والخوف الشديد والخشية من ربه تبارك وتعالى، فقال: **(معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون).**

ومن جنس هذا العمل ما جاء في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قال: **(ورجلٌ دعتة امرأة ذات منصب وجمال)** فلا يخشى إذا فعل معها الفاحشة لا يخشى التبعة ولا الفضيحة، وذات جمال، ومع ذلك قال هذا الرجل: **(إني أخاف الله)** قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: "وهذا لا يصدر إلا عند شدة خوف من الله، ومتين تقوى وحياء" فلا يصدر إلا من كان ذا خوف شديد من الله جل وعلا، وكان إذا تقوى متينة وحياء متين.

وفي ذلك الحديث الصحيح: في أولئك الثلاثة الذين آوى بهم المبيت إلى الغار، فأنحدرت عليهم صخرة سدّت عليهم باب الغار، فقال أحدهم -وقد كانت له ابنة عم وكان يحبها كأشد ما يحب الرجال النساء- فراودها عن نفسها، وطلب أن يفعل بها الفاحشة، فأبت لأنها شريفة عفيفة، حتى أملت بها سنة من السنين، وحصلت لها مجاعة، ووصلت إلى حال الاضطرار، فجاءت لابن عمها تطلب منه المساعدة: ساعدني يا ابن عمي؛ فإني في جوع شديد!، فقال: لا؛ حتى تمكنني من نفسيك، فاتفقا على مائة وعشرين دينارًا، يقرب من نصف كيلو من الذهب، حتى إذا قعد بين رجليها، قالت له: "اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه" أي إلا بالزواج، "فما فعلت هذا إلا لأجل الضرورة" فلما سمع ذلك حصل له مقام الخوف من الله جل وعلا، فقام عنها، وترك لها المال، ودعا ربه: "اللهم إني كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، وما قمت عنها وأنا قادر عليها إلا خوفًا منك ورغبة فيما عندك ففرّج عنا ما نحن فيه".

وهكذا من أمثلة الخائفين من الله في الخلوات: تلك المرأة التي دعاها الرجل إلى الفاحشة، فقال: "هلمي؛ فإنه لا يرانا إلا الكواكب" فقالت المرأة: "فأين مكوكبها؟! أين خالقها ومدبرها!!

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا *** تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة *** ولا أن ما تخفي عنه يغيب

وذلك الرجل من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله الذي ذكر الله خاليًا، ففاضت عيناه، هذا من أمثلة الخائفين من الله جل وعلا في الخلوات، يذكر الله عز وجل وهو لوحده، لا يراه أحد، ففاضت عيناه، قال أهل العلم: إما خوفًا من الله، وإما شوقًا إليه.

وخرج ابن عمر رضي الله عنهما مع أصحاب له في السفر، حتى إذا كانوا في الطريق، نزلوا وأعدوا الطعام، فمر بهم راعي، ومعه غنم، فقال ابن عمر: "يا أيها الراعي: تعال، وكل معنا" فقال الراعي: "إني صائم" فقال ابن عمر: "أتصوم في هذا اليوم الشديد

الحر وأنت في هذه الجبال ومعك هذه الغنم؟! فقال: "إني أبادر الأيام الخالية"، فأراد ابن عمر أن يختبره، فقال له: "هل تبيع لنا شاة من هذه الغنم، فنذبحها، ونعطيك ثمنها، ونعطيك شيئاً من لحمها تفطر عليه؟"، فقال الراعي: "إنها ليست لي، إنها لسيدي" فقال ابن عمر: "وماذا عساه سيدك فاعلاً، إن فقدتها قلت له: أكلها الذئب" فولى الراعي وهو يرفع اصبعه إلى السماء ويقول: "فأين الله!!" فبكى ابن عمر بكاء شديداً، وظل يردد كلام الراعي "فأين الله!!" ورجع إلى مكة، وأرسل إلى سيد ذلك الراعي، واشترى منه الراعي والغنم، واعتق الراعي، ووهبه الغنم.

فأين الله -معشر المسلمين-؟! نحن بحاجة إلى هذا المقام، جميعنا بحاجة إلى هذا المقام -مقام المراقبة ومقام الخوف الشديد من عز وجل- لا سيما في الخلوات، لا سيما في السر، لا سيما إذا كنا بعيدين عن أعين الناس، البائع بحاجة إلى هذا المقام في بيعه، فلا يكذب، ولا يغش، ولا يدلس، فأين الله إذا كنت تكذب وتغش؟!

وهكذا التاجر لا يُوقع الناس في المشقة، ولا يستغل أحوالهم، فأين الله؟!

وهكذا المسؤول يقوم بمسؤوليته، والوزير والرئيس والمدير الكل يسأل نفسه: فأين الله؟!

مقام المراقبة والخوف الشديد من جل وعلا.

وهكذا -معشر المسلمين- نحن مع جواتنا ومع هذه الأجهزة الذكية التي فيها المصائب والبلاوي، فأين الله عندما تنظر النظرة المحرمة؟! فأين الله عندما تدخل الموقع الإباحي؟! فأين الله عندما تنظر إلى الصور الخليعة؟! فأين الله؟! لا بد أن يكون فينا هذا الوازع، والله لا نجاة لنا ولا لشبابنا ولا لأبنائنا ولا لبناتنا مع هذه الجولات إلا بالخوف من الله تبارك وتعالى، فأين الله؟!

ما أجمل أن يكون الشاب جواله نظيفاً، ليس فيه مقاطع خليعة، ولا مناظر محرمة، ما أجمل أن يكون الشاب في خلوته والشابة في خلوتها لا ينظران إلى ما حرم الله، لا يعاكس بنات الناس، وربما إذا جاءته معاكسه من فتاة قام بحظرها؛ لأنه يخاف من الله، وهكذا الفتاة ما أجمل إذا دخل الشاب يعاكسها على وسائل التواصل، قامت بحضره؛ لأنها تخاف من الله. فأين الله معشر المسلمين معشر الشباب.

هذا هو الجمال هذا هو الجمال الحقيقي، أن تكون خائفاً من الله جل وعلا في هذه المواطن، وإذا كنت كذلك فإنك ستكون كذلك في العلانية، فنحن بحاجة إلى أن نصلح أحوالنا مع الله تبارك وتعالى، وكما نبحت عن الحلول وعن العلاج، وأنفع العلاج وأنجع العلاج هو مراقبة الله والخوف من الله تبارك وتعالى في صلاح الأحوال وفي صلاح البلاد وفي صلاح العباد.

نحن بحاجة إلى خائفين وخائفات من الله جل وعلا؛ حتى تصلح الأحوال، ويصلح الشأن كله.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد، أيها المسلمون عباد الله:

إن الخوف من الله جل وعلا في الخلوات له ثمار عظيمة، منها ما جاء في هذه الآية: **(إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)** فشدة الخوف من الله جل وعلا سبب عظيم من أسباب المغفرة، والإنسان لا يوقع الذنوب في الغالب إلا بسبب الشهوات، والخوف الشديد مُحرق لهذه الشهوة، فمن خاف الله خوفًا شديدًا فإنه يحرق بذلك الشهوات، فينكف عن المعاصي، وينبعث في الطاعات، تلك الطاعات المكفرة للذنوب، ستجده محافظًا على الصلوات، محافظًا على الجُمع والجماعات، وهذه من الطاعات التي يكفر الله عز وجل بها الذنوب والخطايا، ولهذا قال بعض السلف: "الخوف الشديد يدل على كل خير".

وهكذا من ثمرات الخوف من حصول وتحقيق له هذا المقام لا سيما في الخلوات فإنه التقي، وهو الورع، وهو العفيف، فالخوف يورث التقى والورع والعفة والفضيلة.

وهكذا من ثمار الخوف من الله جل وعلا في الخلوات أن من خاف الله عز وجل، وخشي ربه بالغيب فإنه يُورث مهابة في قلوب الخلق، كما جاء في بعض الآثار أن من خاف من الله جل وعلا خاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله، وخاف من غيره، أخافه الله من كل شيء.

وهكذا من ثمار الخوف في هذه الدنيا أنك تجد الأمان يوم القيامة، كما جاء في الأثر أن الله عز وجل لا يجمع على عبده أمنين ولا خوفين، فمن آمن في هذه الدنيا أخافه الله يوم القيامة، ومن خاف من الله في هذه الدنيا أَمَّته الله يوم القيامة. وهكذا معشر المسلمين الخوف من الله ثماره: ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، فمن أولئك الذين يظلمهم الله في ظله: أولئك الذين خافوا الله جل وعلا، وانتهوا عن المحارم؛ لأنهم يخافون الله جل وعلا، ويذكرون الله عز وجل في خلواتهم، فتفيض أعينهم من الدمع؛ خوفًا من الله، وفي الحديث: **(عَيْنَان لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**.

وهكذا من ثمار الخوف والأجر الكبير الذي أعده الله عز وجل للخائفين والخائفات في الخلوات بالغيب: الجنة **(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)** الجنة هي مأواه، **(وأُزِلَّتِ الجنة للمتقين غير بعيد * هذا**

ما توعدون لكل أبواب حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفي

الحديث: (جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما) قال بعض أهل العلم: "جنة لترك المعاصي، وجنة لفعل الطاعات".

عباد الله: (من خاف من الله أدلج) أي أسرع في ترك المعاصي، وأسرع في الطاعات والقربات، (ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة).

بتفريغها: بعض طلبة الشيخ.